
سلسلة
أشهر النساء
٤
أشهر النساء
حواء
زوجة موسى
هاجر
زوجة أيوب
سارة
بلقيس
أم موسى
مريم بنت عمران
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
دار الغوثاني



سلسلة أشهر النساء

٤

أشهر النساء

إعداد

ياسر علي نور

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٦٠

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org



بسم الله الرحمن الرحيم

صرّحَ القُرآنُ الكريمُ باسمِ امرأةٍ واحدةٍ، وهي السّيدةُ مَريم بنتُ عِمرانَ رضي الله عنها.

وقدْ أشارَ القُرآنُ في أماكنَ كَثيرةٍ إلى بعضِ النّساءِ المؤمنات؛ منهنّ مَن كانتْ زوجةً لنبي، أو أُمًّا لرسولٍ، أو امرأةً صَالحةً، آمنتْ بالله عزَّ وجلَّ، واتبعتْ رَسُولَه، وتحمّلتْ في سبيلِ دينهَا الكثيرَ من التعبِ والإيذاءِ.

وقدْ كانتْ هؤلاء النّسوةُ مثالاً صالحًا، وأُسوةً حَسنةً، وقُدوة عَظيمةً لكلّ امَرأةٍ مُؤمنةٍ تقيَّةٍ، تَسعى لرضَا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ورسُولِه ﷺ.

وفي هَذا الكتاب نتعرّفُ على بعضِ هَؤلاء النّسوة، وعلى حَياتِهنَّ، ومكانتِهنَّ عندَ الله تعالى، حتى تَتأسَّى بهنَّ نَساءُ المؤمنينَ اليوم، فيسعدنَ في الدُّنيا والآخرةِ.

** ** **

السيدةُ حَوّاءُ

كانَ الأبُ الأوّلُ للخلقِ جَميعًا يعيشُ وحدَهُ بينَ أشجارِ الجنّة وظلالهَا، فأرادَ الله أن يؤنس وحشَتهُ، فخلَقَ لهُ من نفسه امرأة، يَسكنُ إليهَا، وتُصبحُ لهُ زوجةً يأنس بهَا، فكانتْ حَوّاءُ هَديةَ الله إلى آدمَ، فعاشتْ معهُ بينَ أشجَار الجنّة يأكلانِ ممّا فيهَا من فَواكهَ وخَيرات متعدّدةٍ، وظلاّ على عهدِهمَا مع الله، لَمْ يقربا الشّجرة التي حرّمها عليهمَا.

لكنّ إبليسَ اللعينَ لَمْ يهدأ لهُ بَالٌ، فتربّص بهمَا، وأخذَ يدبّرُ لهمَا حِيلةً؛ ليعصيا الله، ويأكُلا من الشجرةِ؛ فهداهُ تفكيرُهُ الخبيثُ لموطنِ الضّعفِ عندَ الإنسانِ، وهو رغبتُهُ في البقاءِ والخلودِ، فقال لهمَا: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠]. وأقسمَ لهمَا أنّهُ لهمَا ناصحٌ أمينٌ، وَما إنْ أكلا من الشجرةِ حتى بدتْ لهما عوراتُهمَا، فعاتبَهُما الله، وعرفَ آدمُ وحواءُ أنّ الشيطانَ خدعهمَا وكذبَ عليهمَا، فندمَا، وتَابا إلى الله، فقبلَ الله توبتهمَا، وبعدَ ذلكَ أهبطهمَا ربُّهمَا إلى الأرضِ، وأهبطَ معهمَا الشيطانَ وأعوانهُ، ومخلوقاتٍ أُخرى كَثيرةً، وقدّر الله لآدمَ وحواء أنْ يعمرَا الأرضَ، وتنتَشر ذريتهمَا في أرجاءِ المعمورةِ. وظلتْ حواءُ طائعةً للّهِ ـ تعالى ـ حتى جاءَ أَجلُهَا.

السيدةُ هَاجَرُ

هي هَاجرُ أُمُّ إسمَاعيلَ، وزوجةُ إبراهيمَ ـ عليهمَا السلامُ ـ عُرفتْ في التّاريخ بأُمّ العربِ العدنانيينَ.

وهبهَا ملكُ مصرَ إلى السيدةِ سَارة زَوج إبراهيمَ الأُولى، ولمّا أدركتْ سَارةُ أنّها كبرتْ في السنِ، ولَمْ تنجبْ، وهبتْ هَاجر لزوجِهَا ليتزوّجها، عسَى الله أن يرزقه منهَا الولدَ.

وتزوّج سيدُنا إبراهيمُ السيدةَ هَاجر، وبدتْ عليهَا عَلامَاتُ الحملِ، ثم وضعتْ إسماعيلَ عليهِ السلامُ، فوجدت الغيرةُ طريقهَا إلى قلبِ السيدةِ سَارة، وأحسّتْ أنّها فقدتْ المكانةَ التي كانتْ لهَا في قلبِ زوجهَا مِن قَبل، فطلبتْ منهُ أَنْ يأخذَ السّيدةَ هَاجر وابنهَا بعيدًا عنهَا، فأخذهَا سيدُنا إبراهيمُ إلى صحراءِ مكّة، بأمرٍ من الله، ولحكمةٍ يريدُهَا عزّ وجلّ.

وهُناك.. في صحراءِ مكّةَ القاحِلةِ.. حَيث لا زَرع ولا مَاء.. ولا أنيس ولا رَفيق.. تركهَا زوجُهَا هيِ ووليدهَا.. ثُمّ مَضى في طريق عَودتهِ، وتركَ لهمَا تمرًا وماء.فنادتهُ: يا إبراهِيمُ! أينَ تَذهَب وتتركنَا في هَذا الوادِي، الذي ليسَ فيه أنيسٌ ولا شَيء؟! فلَمْ يلتفتْ إليهَا، وكأنّهُ على يقينٍ من وعدِ الله الذي لا يتخلّف ولا يخيب، فأدركتْ أنَّ أمرًا مَا يمنعُ زوجهَا من الردّ عليهَا، فقالتْ لهُ: الله أمرك بهذَا؟ قَال: نعم. فقالتْ في غيرِ تردّدٍ ولا

قَلقٍ: إذْن لا يضيعنا. وانصرفَ إبراهيمُ وهو يدعُو ربَّهُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم ٣٧ ـ ٣٨].

وجلستْ الأُمّ تأْكلُ وتشرَب وتُرضعُ وليدهَا حتى نفدَ الماءُ والزّادُ، فلَمْ تَجد مَا تَروي به ظَمأ طفلَها، وقدْ جفّ لبنُهَا، وبدأَ الطفلُ يتلوّى جُوعًا وعَطشًا، ويصُرخُ صُراخًا يدمي قلبَ الأُمّ الحنُون، فأسرعتْ وصعدتْ على جبلِ الصّفا، لتنظُر أحدًا ينقذهَا هي وطفلهَا من الهلاكِ، ، ولكنَّها لا تَجد، فتنزل مُسرعةً وتصْعَدُ جَبَلَ المرْوَة، وتَفعَل ذلكَ سَبع مرّاتٍ حتى تمكّن منها التّعب، فبعثَ الله سيدنَا جبريل، فضربَ الأرضَ بجناحهِ؛ لِتَخْرُجَ عينُ ماءٍ بجانبِ الصغيرِ، فهرولتْ الأُمّ نحوهَا وهي تحمدُ الله، وجعلتْ تَغرفُ من مَائها، وتنقذُ فلذة كَبدها.

وبعدَ أيامٍ نزلَ على هَاجر وابنهَا أُناس من قبيلةِ «جُرْهُم»، وشبَّ الرَّضيعُ بينهُمْ، وتعلّم اللّغة العربيّة، ولمّا كَبر تزوّج منهُمْ

وقدْ جعلَ الله ما فعلتهُ السيدةُ هَاجر مِن الصعودِ والسّعي بينَ الصّفا والمروةَ من أعمالِ الحجّ.

قيلَ إنّها تُوفيتْ وعندَها من العمرِ ٩٠ سَنَةً، ودفنهَا إسماعيلُ ـ عليهِ السلامُ ـ بجانبِ بيتِ الله الحرامِ.

السّيدةُ سَارة

هي سَارةُ زَوجةُ نبي الله إبراهيمَ، كانتْ أوّل مَن آمن بهِ حينَ بعثُه الله لقومِه، ثُمّ آمنَ به لُوطٌ ابنُ أخيه.

وقدْ خَرجت سَارةُ مُهاجرةً في سبيلِ الله مع زوجِهَا وابن أخيه لُوطٍ إلى فلسطينَ، ولمّا اشتدّ الجفافُ في فلسطين هَاجرُوا إلى مصرَ، وكانتْ سَارةُ غَايةً في الجمالِ، فأخبر الجنودُ فرعونَ أنّ امرأةً جَميلةً حَضرتْ إلى مصرَ، فلمّا علمَ إبراهيمُ بالأمرِ قالَ لهَا: «إنّه لو علم أنّك زَوجتِي يغلبُنِي عليكِ، فإنْ سألكِ فأخبريهِ بأنّكِ أُختي، وأنتِ أُختي في الإسلامِ، فإنّي لا أعلمُ في هذه الأَرض مُسلمًا غيركِ وغيرِي».

وطلبَ فرعونُ من جنودهِ أن يحضرُوا هَذه المرأةَ، ولمّا وصلتْ إلى قصرِ فرعون دعتْ الله ألا يخذلهَا، وأن يحيطهَا بعنايتهِ، ، وأقبلتْ تتوضأ وتُصلي وتقولُ: «اللهمّ إنْ كنتَ تعلمُ أنّي آمنتُ بك وبرسولكَ، وأحصنتُ فرجي إلا على زَوجي، فلا تُسلّط عليّ هذا الكافرَ».فاستجابَ الله دعاءَها، فكان كلّما أرادَ أن يقتربَ منها شُلت يدهُ، فقالَ لمن أتي بها: اذهبْ بهَا فإنكَ لم تأتِ بإنسان، وأمر لها بجاريةٍ، وهي «هَاجرَ».

ورجعَ إبراهيمُ وزوجه إلى فلسطين مرّة أُخرى، ومرّتْ الأيامُ والسنون ولم تُنجبْ سَارة ابنًا لإبراهيمَ، فكانَ يؤرقهَا

أنَّها عَاقِرٌ لا تَلد، فجاءتهَا جاريتهَا هَاجرُ ذاتَ مرَّة؛ لتقدّم الماءَ لها، فوجدتهَا سَارةُ صَالحةً لأنْ تهبها لزوجهَا، فتزوَّجها إبراهيمُ، ولكنَّ شيئًا من الغيرةِ بدأ يتحرّكُ في نفسِ سَارة بعدَ أن ظهرتْ علاماتُ الحمل على هَاجر، فلمّا وضعتْ هاجرُ طفلهَا إسماعيلَ طَلبتْ سارةُ من إبراهيمَ أن يبعدهَا وابنهَا، فأخذَ إبراهيمُ هاجرَ وابنهَا الرّضيع إلى صحراءِ مكّةَ.

وذاتَ يوم جاءَ نفرٌ لزيارةِ إبراهيم؛ فذبحَ عجلاً، وقدّمهُ إليهِمْ، لكنّه دُهش لمّا وجدهُمْ لايأكلونَ، ثمَّ علمَ أنهمْ مَلائكةٌ جاؤُوا لعذابِ قَوم سَدوم؛ لأنّهُمْ عَصوا نبي الله لُوطًا، ولَمْ يتبعُوه. وقبلْ أنْ تتركَ الملائكةُ إبراهيمَ بشّروه بأنْ زوجتهُ سَارة سوفَ تَلدُ ولدًا اسمهُ إسحاق، وأنّ هذا الولد سَيكبر ويتزوّج ويولدُ لهُ ولدٌ يسمّيه يعقوب، فلمّا سمعتْ سَارة كُلامهُمْ، لَمْ تَستطعْ أنْ تصبرَ على هولِ المفاجَأة، فعبَّرتْ عن فرحتِهَا، ودهشتِهَا كما تُعبّر النّساء؛ فصرختْ تَعجبًا مما سمعتْ وقالتْ: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢ ـ ٧٣]. وبالفعلِ حَملتْ سَارةُ بإسحَاق ووضعتهُ، فباركَ الله فيه؛ ومنهُ انحدرَ نَسلُ بني إسرائيلَ.

وقد ماتتْ سَارةُ وعمرُهَا ١٢٧ عامًا، ودُفنتْ في فلسطينَ.

أُمُّ مُوسَى

رأي فرعونُ في منامه رُؤيا أفزعتهُ، فدعَا المنجِّمين لتأويلِهَا فقالُوا: سوفَ يولدُ في بني إسرائيل غُلامٌ يسلبكَ المُلك، ويبدّلُ دينكَ. فجنّ جنونُ فرعونَ، وأرسلَ جنودَهُ في كلّ مكانٍ لقتلِ كلّ غُلامٍ يولدُ لبني إسرائيلَ.

وتحتَ غيوم البطشِ السوداء، ورياح الفَزع العَاتية، وصَرخَات الأُمّهات، وضعتْ أُمُّ موسى وليدهَا، وتملّكهَا الخَوفُ الشّديدُ عليهِ، وراحتْ تَبكي حتى جاءهَا وَحْي الله بأنْ تضعهُ دَاخل صُندوقٍ وتلقيهِ في النيلِ، فذهبَ مع الماءِ الذي احتملهُ حتى توقّف أَمامَ قَصر فِرعَون، فلمّا رأتهُ امرأةُ فرعونَ، أوقعَ الله محبّته في قلبها، فقالتْ لزوجِها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩].

وكادَ قلبُ أُمُّ موسى يتوقّف خَوفًا على ابنهَا، ولكنّ الله صبّرها، وثبّتها، وقدْ أرسلتْ ابنتها تتّبع الصُندوقَ حتى علمتْ مكانهُ، وقدْ حرّم اللهُ جميعَ المرضَعات على موسى حتى جاءتْ أُمُّهُ وأرضعتهُ، ثُمَّ أخذتهُ إلى بيتِهَا، وتكفلتْ امرأةُ فرعون بنفقاته، وبذلكَ رجعتْ أُمّ مُوسَى بابنِهَا راضيةً مُطمئنةً، وعاشَ مُوسَى وأُمّه في حمايةِ فرعَون وجنُودِه، وتبدّل الحالُ بفضلِ صَبرِ أُمّ موسى وإيمانِهَا.

زوجةُ مُوسَى

يقولُ ابن مسعودٍ: أفرس النّاسِ ثلاثةٌ؛ صاحبُ يوسف حين قال لامرأتهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١]، وصاحبةُ موسى حين قالتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر.

ولكنْ ما الذي أخرج موسى من مصر إلى أرض مدينَ؟!

ذات يوم رأى موسى رجلين يقتتلان؛ أحدُهما من قومه «بني إسرائيل»، والآخر من آل فرعون.فاستغاث الإسرائيلي بموسى، فدفع المصري بيده فمات على الفور، وفي اليوم التّالي تشاجر الإسرائيلي مع رجلٍ آخر، فاستغاث بموسى مرة ثانيةً، فقال له موسى: إنّك لَغَوِي مُبينٌ. فخاف الرجلُ وقال: أتريدُ أنْ تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس. فعلم فرعونُ وجنوده بخبر قتل موسى للرجل، فجاء رجل من أقصى المدينة يحذّر موسى، فأسرع بالخروج من مصر، وظل ينتقل حتى وصل إلى أرض مَدْين في جنوب فلسطين، وجلس بالقرب من بئرٍ، فوجد الرعاة يسقون ماشيتهم، وعلي مقربةٍ منهم تقفُ امرأتان تمنعان غنمهما عن ورود الماء؛ استحياءً من مزاحمة الرجال، فذهب موسى إليهما وسألهما عن أمرهما، فأخبرتاه بأنهما لا تستطيعان السقي إلا بعد أنْ ينتهي الرجال من سقي ماشيتهم، وأبوهما شيخٌ كبيرٌ، فتقدم وسقي لهما، ثم جلس عند شجرة يناجي ربَّه:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وعادت الفتاتان إلى أبيهما، فأخبرتاه بقصّة الرّجل القوي الذي سقى لهما، مروءةً منه وفضلاً، فطلب الأب من إحدى ابنتيه أن تذهب لتدعوه، فجاءت إليه إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، لتبلّغه دعوة أبيها: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. واستجاب موسى للدعوة، فلما وصل إلى الشيخ وقصّ عليه قصّته، طمأنه الشيخ بقوله: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

وعندئذ أشارتْ إحدى الفتاتين على أبيها بما تراهُ صالحًا لهمْ ولموسى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فقال الشيخ له: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧ ـ ٢٨].

ولَمَّا وَفَّى موسى الأجلَ وعمل في خدمة صِهْرِه عشر سنين، أراد أن يرحلَ إلى مصر، فخرج ومعه امرأتُه وما أعطاه الشيخُ من الأغنام، فسار موسى من مدين إلى مصرَ.

زوجةُ أَيوبَ

أرادَ الله أنْ يختبرَ أَيوبَ في إيمانه، فأنزلَ بهِ البلاءَ، فضاعَ مالهُ، وماتَ أولادُه، واعتلّتْ صحتهُ، لكنّهُ على الرغمِ من ذلكَ ما ازدادَ إلا إيمانًا، وكلّما ازدادَ عليهِ المرضُ؛ ازدادَ شكرهُ للّه.

ومرّت الأعوامُ على أيوبَ ـ عليهِ السلامُ ـ وهو مريضٌ، وازدادَ ألمه حِينما بَعُدَ عنه الصديقُ، وفَرَّ منه الحبيبُ، ولم يقفْ بجوارهِ إلا زوجَتهُ العَطوفُ؛ تلكَ المرأة الرّحيمةُ الصّالحةُ التي لم تُفارق زوجَها، أو تَطلبْ طَلاقها، بَلْ كَانت نعمَ الزوّجة المُعينةُ لزوجِها على محنَتِه، فأَظْهَرتْ لهُ من الحنانِ مَا وسعَ قلبهَا، واعتنتْ بهِ ما استطاعتْ إلى ذلكَ سَبيلاً، ولمْ تشتكِ من هُمومِ آلامهِ، أو ضَياع مالهِ، أومَوت أبنائهَا، وإنما ظلتْ معه سَبع سِنين ـ رَاضية حَامدة، صَابرةً مُؤمنةً، تَعملُ بعزمٍ وقوةٍ؛ لتُطعمهُ، وتقُوم على أمرِه، وقاستْ من إيذاءِ النّاسِ ما قاستْ.

وشعرَ أيوبُ ـ مرّة ـ أن الشيطانَ وسوسَ لامرأتهِ، فأقسمَ أن يضربَها مئة سَوط إذا شفاهُ الله، ثم دَعا ربّه أن يشفيهُ، فشفاهُ.

ومِن رَحمة الله بهذِه الزوجةِ الصّابرة الرّحيمة أَنْ أَمَرَ الله أيوبَ أن يأخذ حِزمةً بهَا مئةُ عود من القشّ، ويضربهَا بهَا ضربةً خفيفةً رقيقةً مّرةً واحدةً ؛ ليبرّ قسمَهُ، جزاءَ لهُ ولزوجهِ على صبرِهمَا على ابتلاءِ الله.

السيدةُ بلقيسُ

هي بلقيسُ بنتُ شَراحيلَ، مَلكة سَبأ، تمكنَتْ من الملْك بعدَ مقتلِ عَمرو ذِي الأذعَار، فبايعُهَا قومهَا وولّوهَا الحكمَ، فأدارتْ شؤونَ البلاد بشجاعةٍ وحكمةٍ، ورممّت سدّ مَأربَ الشّهير، وشيدتْ القَصور، وازدهرتْ على يديها التجارةُ والزراعةُ، وزادتْ ثرواتُ البلادِ واستقرتْ أحوالُ النّاسِ.

وكانتْ بلقيسُ تعبدُ الشمسَ هي وقومُهَا، وكانَ ذلكَ في أيام نبي الله سُليمانَ عليهِ السلامُ، فعلمَ بأمرهم مِن الهدهد، فأرسلَ معهُ رسالةً لملكتِهم، يدعوهَا وقومهَا إلى الإسلامِ.

وبينمَا كانتْ بلقيسُ في فراشها، دخلَ عليها الهُدهدُ من النافذةِ، وألقي عليها الكتاب، فقرأتهُ، ثُمّ جمعتْ وزراءها، وقالتْ لهمُ: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١]، ثم طلبتْ منهُمْ الرأي والمشورةَ، فأجابهَا القومُ: ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل:٣٣] فأرادتْ أن تصرفَ قومهَا عن الحربِ، فقالتْ لهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. ثم قالت بحكمة بالغةٍ وحسنِ تدبيرٍ: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٣٥] وأخبرتهُمْ أنّهُ إن كانَ ملكًا قَبلَ الهديّةَ وانصرفَ، وإن كان نبيًّا فلَنْ يقبلَ الهديةَ، ولن يرضَي منّا إلا أن نتبعَهُ على دينه. ووافقَ القومُ على ذلكَ، وانصرفوا. فلمّا جاءتْ رُسلُ بلقيسَ بالهدية إلى سُليمان، قالَ لهُمْ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦ ـ ٣٧].فلمّا علمتْ بلقيسُ ذلكَ أرسلتْ إلى سُليمان تُخبره أنّها سَوفَ تأتي إليه، وأمرتْ جُنودها بحراسةِ عرشها، وخرجتْ من مُلْكها متجهةً ناحيةَ الشمال، وقبيل حُضورهَا، أرادَ سُليمانُ أن يبين لها قُدرة الله وعَظمتَهُ، فطَلبَ من جنوده أن يُحْضرُوا عَرْشَهَا، وبالفعلِ كانَ عرشُ بلقيس أمام نبي الله سُليمان في لمحِ البصرِ.

ولمَّا رأتْ بلقيسُ مُلكَ سليمان، ورأتْ عرشهَا، والصرحَ الزُّجاجي الذّي يجري من تحتهِ الماءُ، وَما وهبهُ الله لنبيه سُليمان قالتْ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهكذَا أسلمتْ بلقيسُ للّه طَوعًا مع سُليمان عليهِ السلامُ. ثُمَّ آمنَ قومُها، فتزوّجهَا سُليمانُ وأنجبتْ لهُ ولدًا، إلا أنّه تُوفي شَابًّا، وتوفيتْ بعده بلقيسُ في أَنطاكيةَ ـ رضي الله عنهَا ـ.

السيدةُ مَريمُ بنتُ عِمرانَ

كانَ عمرانُ بنُ مَاتان وزوجتُهُ حَنّة بنتُ فَاقوذ يعبُدان الله ولايشركانِ بهِ شَيئًا، وكانَ الزمانُ يمرُّ بهمَا دونَ ولد يؤنسهمَا. وذاتَ يوم جلستْ حنّة بين ظلالِ الأشجار، فرأتْ عُصفورةً تُطعمُ صغيرهَا، فتحركتْ بداخلهَا غريزةُ الأُمومةِ، فدعت الله أنْ يرزقهَا ولدًا حتى تنذرهُ لخدمةِ بيتِ المقدسِ، فتقبّل الله دعاءهَا، ولكنّ حكمتهُ اقتضتْ أن يكونَ الجنينُ أُنثى، فكانتْ السيدةُ مَريمٌ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وفي ذلكَ يقولُ النبي ﷺ: «كلّ بني آدم يمسّهُ الشيطانُ يومَ ولدتهِ أُمّه إلا مَريم وابنهَا» [مسلم]. لكنّ القدرَ كانَ يخفي لمريمَ اليتمَ، فقدْ تُوفي أبوهَا وهي طِفْلةٌ صَغيرةٌ، وأخذتهَا أُمها إلى الهيكلِ؛ استجابةً لنذرهَا، ودعت الله أن يتقبّلهَا ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. ولَمّا رآهَا الأحبارُ تنازعُوا على من يكفلُهَا، فقالَ زكريا ـ عليه السلامُ ـ: أنا آخذُها، وأنا أحقُّ بهَا؛ لأنَّ خالتهَا زَوجتي. لكنّ الأحبارَ أَبَوْا ذلكَ، فقالَ لهم زكريا: نقترعُ عليهَا، بأن نُلقي

أقلامَنَا التي نكتبُ بها التّوراةَ في النهرِ، ومَنْ يستقرُّ قلمهُ يكفلُهَا، فأخذَ النهرُ أقلامَهُمْ، وظهرَ قلمُ زكريّا فكفلَهَا. وكانَ عُمْرُ مَريمَ حينئذٍ لا يتجاوزُ عامًا، فجعلَ لهَا زكريّا خَادمةً في محرابها ظلّتْ معهَا حتّى كبرتْ، وكانَ لا يدخلُ عليهَا حتّى يستأذنَهَا، وكانَ يأتِي إليهَا بالطّعامِ والشرابِ، ولكنّه كُلّمَا دخلَ عليهَا قدمتْ لهُ طَبقًا مُمتلئًا بالفاكهةِ، فيتعجَبُ زكريا، حيثُ يرى فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ، وفاكهةَ الشتاءِ في الصيفِ، فيقولُ لهَا في دهشةٍ: من أينَ لكِ هَذا؟ فتقولُ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]. فلمّا رأى زكريا مَا رأى، دَعا الله أنْ يعطيهُ ولدًا يساعدهُ ويكفيه مُؤنةَ الحياةِ، فرزقهُ الله بيحيى عليهِ السلامُ. ولمّا أصبحَ زكريا شيخًا كبيرًا، ولَمْ يعدْ قَادرًا على خدمة مَريم، قامَ بكفالتهَا ابن خالهَا يوسفُ النّجارُ، وكانَ رجلاً تقيًّا شَريفًا خَاشعًا للّه، فظلّ يخدمهَا حتى بلغتْ سنّ الشّبابِ، فضربتْ مريمُ على نفسهَا الحجابَ، فكانَ يأتيهَا بحاجتِهَا مِن الطّعامِ والماءِ من خلفِ الستارِ، فلا يراها أحدٌ ولا تَرى أحدًا. وبينمَا مَريمُ مُنشغلَةٌ في أمرِ صَلاتِها وعبادتِهَا، جاءهَا جبريلُ بإذنِ ربّها على هيئةِ رَجلٍ ليبشّرهَا بالمسيحِ ولدًا لها، فأخذَ بكمّهَا، ونفخَ في جيبِ درعهَا، فحملتْ، فلمّا ظهرَ حَملُهَا استحيتْ، وهربتْ حياءً

وخوفًا من قومهَا، فأتاهَا المخاضُ فتساندتْ إلى جذعِ نخلةٍ تَبكي وتقولُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٣]. حينئذٍ أرادَ الله أن يسكّن خوفَها فبعثَ إليها جبريلَ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٤ ـ ٢٦].

فاطمأنَتْ نفسُ مَريم، وأكلتْ وشربتْ حتى قويتْ، فحملتْ ابنهَا، وانطلقتْ إلى قومِهَا، فاتّهموهَا بالفاحشةِ، فلَمْ تتكلّم، وأشارتْ إلى ابنِها الرّضيعِ، فتكلّم بقدرةِ الله، وبرّأ أُمّهُ أمامَ النّاسِ جَميعًا، وظهرتْ بَراءةُ مَريم، وحمدتِ الله تعالَى.

وخافت مريم على ابنها من اليهود وملكهم الظالم، فهاجرت بابنها إلى مصر، ومكثت بها اثنتي عشرةَ سنة، ثم عادت إلى فلسطين بعد موت هذا الملك، واستقرت ببلدة الناصرة، وظلت فيها حتى بلغ المسيح ثلاثين عاماً، فبعثه الله برسالته، فشاركته أمه أعباءها، حتى إذا أراد اليهود قتله، رفعه الله إليه، وتوفيت مريم بعد ذلك بخمس سنوات، وكان عمرها حينئذٍ ثلاثاً وخمسين سنةً.

سلسلة أشهر النساء

١ – أمهات المؤمنين
٢ – أمهات النبي ﷺ
٣ – بنات النبي ﷺ
٤ – أشهر النساء
٥ – أشهر الشهيدات
٦ – أشهر الزاهدات
٧ – أشهر الخطيبات
٨ – أشهر المجاهدات
٩ – أشهر الفقيهات
١٠– أشهر الشاعرات

٨١٠٠٥٧